مساء عيد الميلاد

جاء المساء وغمر الظلام المدينة فشعشعت الانوار في القصور والمنازل وخرج الناس الى الشوارع بملابس العيد الجديدة وعلى وجوههم سيماء البشر والاستكفاء ومن بين دقائق لهاثهم تنبعث رائحة المآكل والخمور . . .

أما أنا فسرت وحيداً منفرداً مبتعداً عن الزحام والضجيج افكر بصاحب العيد أفكر بنابغة الاجيال الذي ولد فقيراً وعاش متجرداً ومات مصلوباً .

أفكر بالشعلة النارية التي أوقدها الروح الكلي في قرية حقيرة بفلسطين فطافت مرفرفة فوق رؤوس العصور محترقة مدينة بعد مدينة . . .

ولما بلغت الحديقة العمومية جلست على مقعد خشبي انظر من خلال أغصان الأشجار العارية نحو الشوارع المزدحمة واسمع عن بعد أناشيد المعيدين السائرين في موكب اللهو والخلو . . .

وبعد ساعة مفعمة بالافكار والاحلام التفت واذا برجل جالس بقربي على المقعد وفي يده عصاه يرسم بطرفها خطوطاً ملتبسة على التراب . . فقلت في نفسي « هو مستوحد مثلي » ثم تفرست فيه متبصراً شكله فالفيته رغم اثوابه القديمة وشعره المسترسل المشوش ذا هيبة ووقار . . وكأنه قد شعر بانني انظر اليه متفحصاً شكله وملامحه فالتفت نحوي وقال بصوت عميق هادىء « مساء الخير » . . .

فارجعت التحية قائلاً « أسعد الله مساءك »

ثم عاد يرسم الخطوط بعكازه على أديم الارض وبعد هنيهة وقد أعجبت بنغمة صوته خاطبته ثانية قائلاً « هل أنت غريب في هذه المدينة »

فأجاب « أنا غريب في هذه المدينة وأنا غريب في كل مدينة أخرى »

قلت « ان الغريب في مثل هذه المواسم يتناسى ما في الغربة من الضيم والوحشة لما يجده في الناس من الانس والانعطاف »

فاجاب « أنا غريب في مثل هذه الايام اكثر مني في غيرها »

قال هذا ونظر الى الفضاء الرمادي فاتسعت عيناه وارتعشت شفتاه كأنه رأى على صفحة الفضاء رسوم وطنٍ بعيد . .

قلت « ان القوم في هذه المواسم يعطفون على بعضهم البعض فالغني يذكر الفقير والقوي يرحم الضعيف »

فاجاب « نعم وما رحمة الغني بالفقير سوى نوع من حب الذات وليس انعطاف القوي على الضعيف الا شكلاً من التفوّق والافتخار »

قلت « قد تكون مصيباً ولكن ماذا يهم الفقير الضعيف ما يجول في خاطر الغني القوي من الرغائب والاميال؟ . ان الجائع المسكين يحلم بالخبز ولكنه لا يفكر في الكيفية التي يعجن بها الخبز »

فاجاب « ان الموهوب لا يفتكر أما الواهب فيجب عليه ان يفتكر ويفتكر طويلا »

فاعجبت بكلامه وعدت اتأمل منظره الغريب وأثوابه القديمة . . .

وبعد سكينة نظرت اليه قائلا « يلوح لي انك في حاجة فهلا قبلت درهماً أو درهمين ؟ »

فاجاب وقد ظهرت على شفتيه ابتسامة محزنة « نعم أنا بحاجة ولكن الى غير المال »

قلت « وماذا تحتاج »

فقال (أنا بحاجة الى مأوى . . أنا بحاجة الى مكان أسند اليه رأسي ؛)

قلت (خذ مني درهمين واذهب الى النزل واستأجر غرفة)

فأجاب (قد ذهبت الى كل نزل في هذه المدينة فلم أجد لي مأوى وطرقت كل باب فلم أر لي صديقاً ودخلت كل مطعم فلم أعط خبزاً)

فقلت في نفسي ما أغربه ! فتى يتكلم تارة كالفيلسوف وطوراً كالمجنون ولكن لم أهمس (لفظة) مجنون في اذن روحي حتى حدق بي شاخصاً ورفع صوته عن ذي قبل وقال (نعم أنا مجنون ومن كان مثلي يرى نفسه غريباً بلا مأوى وجائعاً بلا طعام)

قلت مستدركاً مستغفراً (سامح ظنوني فانا لا أعرف من أنت استغربت كلامك فهلا قبلت دعوتي وذهبت معي لتقضي الليلة في منزلي

فأجاب (قد طرقت بابك ألف مرة ولم يفتح لي)

قلت وقد تحققت جنونه (تعال الآن واصرف الليلة في منزلي)

فرفع رأسه وقال (لو عرفت من أنا لما دعوتني) فقلت (ومن أنت)

قال وفي صوته هدير مياه غزيرة (أنا الثورة التي تقيم ما أقعدته الامم . أنا العاصفة التي تقتلع الانصاب التي أنبتتها الاجيال . أنا الذي جاء ليلقي في الارض سيفاً لا سلاماً

ووقف منتصباً وتعالت قامته وسطع وجهه وبسط ذراعيه فظهر أثر المسامير في كفيه : فارتميت راكعاً أمامه وصرخت قائلا يا يسوع الناصري .)

وسمعته يقول اذ ذاك (العالم يعيد لاسمي والتقاليد التي حاكتها الايام حول اسمي . أما أنا فغريب اطوف تائها في مغارب الارض ومشارقها وليس بين الشعوب من يعرف حقيقتي

للثعالب أوجرة ولطيور السماء اوكار وليس لابن الانسان ابن يسند رأسه

ورفعت رأسي اذ ذاك ونظرت فلم أر أمامي سوى عمود البخور ولم أسمع سوى صوت الليل آتيا من اعماق الأبدية .

نيويورك جبران خليل جبران

قيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل وفينا حازم ونحن نطيعه فكأنا ألف حازم

قال لقمان الحكيم لابنه : شاور من جرب الأمور فانه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه مجاناً

ان الناس لا تتفاضل حقيقة بالاموال والذخائر بل انما يتفاضلون بالآداب والمحاسن الذاتية

قال بقراط : اللذة خناق من العسل